مغامز المعاجم العربية

مقدمة البحث

من يمعن النظر في المعاجم العربية التي ألفت في اخريات هذه الاياد ويقابلها بالدواوين التي من جنسها تلك التي صنفت في العهد الاول من هذه اللغة يرَ ان الفرق زهيد لا يكاد يذكر مهما ادعى اصحابها التفوق على من تقدمهم في هذا الضرب من التصنيف بخلاف من تتبع معاجم الافرنج فانهُ يراها تدرجت تدرُّجاً يضاهي تدرج الطفل في العمر اد تراهُ كهلاً بعد ان كان وليداً

اني لا اقول ذلك من جهة الظواهر الخارجية وسهولة البحث والتنقير عن الكنسة فان المتأخرين فاقوا المتقدمين في هذا المعنى ولم يحصروا على هذا الغرض الأ من بعد ان الَّف الافرنج تآليفهم في اللغة فتاثرهم مؤلفونا احسن التأثير ربما فاقوهم في عدة امور هي طفيفة لكن لها شأن يذكر في مثل هذه الدواوين التي هي بمنزلة المعهد والمرجع لمن يريد تثبت الالفاظ وسرعة ايجادها ضنا بالوقت وتفادياً من الوقوف على ما لا يريدهُ في وقت بحثهِ من الالفاظ الخارجة عن موضوعهِ

اما قولي ان المحدثين من واضعي المعاجم لم يزيدوا شيئاً يذكر على ما صنفهُ الاوائل فهذا يرجع الى تعريف الالفاظ ونقل عبارات المتقدمين بدون تدبر والقاء الكلام على عواهنهِ وقلة تدبُّرهم ما يكتبونهُ الى غير هذه الامور التي تُحققها اذا ما اخذت بيدك هذه التصانيف وتبصرت ما ورد فيها واستقريتهُ وانتقدتهُ بفكر وبصيرة . ولما كان المتقطف حامل لواء العلم الى جميع الديار العربية وكان وحيدَ صوت العلماء من كل صقع وحدب وهو شيخ المجلات العربية اتيتُ بهذه المقالة لاتحف بها قراءهُ جهابذة العرفان حتى اذا وضعوا معجماً من المعاجم اللغوية ادخلوا فيهِ ما يحسّنهُ في العيون ويقيهِ عنها سوء الظنون . فاقول :

ذكر مغامز المعاجم

في الدواوين اللغوية عدة معايب ومغامز لا بد من ان تزال منها صوناً لها في هذا العصر عصر التقدم والرقي والاصلاح . ومن هذه المغامز :

١ ان المؤلفين لم يذكروا في دواوينهم كثيراً من الالفاظ المستعملة في تصانيف المؤرخين والكتَّاب واصحاب الفنون والصنائع المختلفة ولذلك لا ترى فيها اثراً للكلم الواردة

في مفاتيح العلوم وشفاء الغليل وابن خلدون وابن القفطي وغيرهم كالبلاذري وابن الاثير من الالفاظ المولدة والمحدثة والمتوضعة عند العلماء حدثاً الحاجة في عصرهم وعصرنا ولا بد من امثلة على ذلك : اطلب مثلاً هذه الكلمات في معاجمهم فانك لا تقف عليها من أثر فالادوية الآتية وهي الزعرج والطالبسان والقاقلة والاسم الميعوفر والسنجبوية والعلقلبوية لا وجود لها فيها — والكيد والزمامة والابتزاز والحصار والتشريق والكنار دُوزي والكنار شبي والتسيير بالمعاني التي يعقدها بها المجمون والفلكيون غير معروفة في مصنفات لغتنا . واذا نشرت فيها عن الاسطرلاب العمدي والمدرض والمبطح فانك لا تجد لها ما يفيدك عنها ادنى فائدة . فاذا طالعت كتب المولدين في عهد العباسيين وكتاب الاغاني للاصبهاني فانك تجد ذكر السجاح والصباح والاسجاح والاضعاف والتصحيح الإسجاح واذا سألت عنها اعلم موسيقيي العصرين المتقدم والمتأخر لم يستطيعوا ان يفيدوك ادنى فائدة وما النقص الأخير المعاجم من هذه المصطلحات

ولهذا تراها لا تعذر لغوياً في العصر من اهمال الالفاظ الحديثة الرقم كالجريدة والمجلة والمجهر والمنطاد والسيارة والبرقية ولسان البرق والقطار والخافلة والسلك واللاسلكي والمقالة والنبذة والمعتمد والمفوض والاعتماد واللامركزي الى غيرها التي تعد بالمئات مع انك ترى معاجم الافرنج يذكرون المصطلحات العلمية والفنية والاوضاع الحديثة وهذا ما يجب علينا ان نحذوهم فيه

٢ كثير من المعاجم الحديثة التأليف ادعى اصحابها انهم دونوا في مصنفاتهم جميع الالفاظ الواردة في كتب السلف اللغوية وزادوا عليها اشياء عثروا عليها في مطاوي ابحاثهم ومطالعاتهم . واذا استقريت بعض المواد وجدت فيها نقصاً . فانك لا تجد مثلاً في محيط المحيط واقرب الموارد وعدة القاموس ومعجم فريتاغ هذه الكلمات مثلاً : العركل والعظرب والجعفلين والجُهْن والجهانة الى غيرها . لا ان هذه الكلم مما يحرص عليها بل انما نقول هذا القول رداً على بعض من ادعى تدوين جميع ما ورد في كتب السلف . ولهذا ازيد على ما تقدم انهُ يجب على اللغويين المحدثين ان يطالعوا معاجم الاقدمين ككتاب العين والقاموس واللسان وتاج العروس والمصباح والصحاح واساس البلاغة وغيرها مطالعة كافية مادةً بعد مادة ولفظاً ما يوجد فيها مما فات المحدثين ليصنعوا معاجم شاملة وافية . وانك لا يكتفي المحدثون بذلك بل عليهم جمع ما تشتت من الفاظ المولدين والادباء والكتاب على اختلاف طبقاتهم لتكون الفائدة تامة ويحسن بناشري كتب الاقدمين ان يذيلوها بما فرد فيها من

الالفاظ الغريبة من المقدمة بالمؤلف وبسط الشرح عليها كما فعل الافرنج في بوناهذا حتى اذا اراد اللغوي العصري ان يؤلف معجمة يهون عليه جمعها بدون مطالعة الكتاب كله وهو مما يشق عليه — بل مما يشق على جماعة يصنفون معجماً واحداً في هذا المعنى فكيف بالواحد المستقل بنفسه

٣ ومما يجدر بالنقد ان المحدثين خلطوا بين الفصيح والمولد والعامي واستهجن والقبيح والمائت من الالفاظ وهو امر شنيع يستقبحه العرب وقد ادخله الافرنج في تآليفهم الحديثة فاخذه عنهم صاحب محيط المحيط واقرب الموارد ومن اخذ عنهما . وقد صرح بعضهم ان الكلمة الفلانية هي عامية وهي ليست من ذلك في شيء ككلمة زغن وزغلول ومنهم من قضى انها مولدة او ممانة والامر على غير ما توهموه — فعلى اللغوي الحديث ان يدرس طبقات اللغويين وطبقات الفاظهم ولا يمزج القبيح بالصحيح والحي بالمائت والقديم بالحديث والمستهجن بالفصيح فهذه كلها من المساوىء التي لا تغتفر في لغتنا . اولا ترى الافرنج انفسهم قد وضعوا رموزاً لكل طبقة من الالفاظ فينبهون على صحيحها من سقيمها وقديمها من حديثها ودخيلها من صحيحها وموضوعها من منقولها الى غير هذه مما تراه مدوناً في كتبهم

٤ من غريب اعمال اللغويين المحدثين كصاحب محيط المحيط واقرب الموارد والمجد ومعجم الطالب وغيرهم انهم ذكروا بعض الالفاظ في غير مظانها ومعاهدها وها انا اذا اسوق اليك مثلاً فانهم ذكروا كلمة « هوذا » في مادة « ه و ذ » وهو من اغرب الغرائب . اما اللغويون العارفون باصول الكلم الواقفون على الالفاظ ادل الاشتقاق والنحو فانهم ذكروها في مادة « ها » كما في لسان العرب والتاج والقاموس ونحوها

٥ ان الاقدمين والمحدثين قد غلطوا اغلاطاً لا تحصى في معرفة الدخيل من الالفاظ فانهم قالوا ابليس من بلس وانها عربية واسطرلاب مركبة من اسم حكيم وضع هذه الآلة وكان اسمه زلاب ثم وضع على آلاته اسطراً فسميت : اسطرلاب . وقالوا : الخندريس من الخدرسة وقال صاحب محيط المحيط الحربله معرب حُرْبَه بالفارسية (كذا مع انه ليس في لغة الفرس حرف الحاء) ومعناه : حافظ الشمس (كذا . وليس في الفارسية كلمة تقرب من هذا اللفظ ويراد به الشمس او الحافظ او حافظ الشمس . والمعروف ان هذه الدوبة تعرف باسم « آفتاب پرست ») ومعنى هذا اللفظ المركب : الساجد للشمس او العابد لها . واين هذا من قول صاحب المحيط . اما اذا كانت اللفظة قد انتقلت من صورة الى صورة

فلا يكاد العرب يتنبهون لاصلها . فارقين مثلاً لفظة تعني الدراهم وهي على وزن جريح الا ان اصلها ازرقين بكسر الاوبين جمع رقة في حالتي النصب والجر واصل رقة ورق كما قالوا اصل عدة وعد واصل ورق من الفارسية برّه و يقال فيها پاره وهي القطعة من كل شيء فاستعاروها للدراهم من باب التغليب وهي الكلمة التي نقلها الترك الى لغتهم بصورة پاره فاخذناها عنهم وقلنا پارة بالهاء المقوطة باثنتين . ومعنى الورق على الصحيح هو المعروف عند الافرنج بكلمة Petite monnaie

٦ ومما يجدر بالنقد ايضاً ان بعض المعاجم نسيت ان تنبه عن عجمة بعض الالفاظ او عاميتها او مولدها او سيئها او حوشيها او ميتها فاختلطت بالفصيح من الفاظ العرب وهو عيب شائن فالزبة مثلاً اعجمية مصرية الاصل . وجهانة صفة لا موصوف واصلها فارسي وذكر بعضهم كفر يتاغ وحيط الحيط الجهانة الشابة وهو خطأ وكان يجب ان تقرن بموصوف ليبين انها صفة فيقال شابة جهانة . — وعندي انها من الفارسية « جوان » اي شاب مثل اللاتينية Juvenis والفرنسوية Jeune ويحتمل ان هاء جهانة للتأنيث وان مذكرها جهان تبعاً للاصل وقد ورد بيان بهذا المعنى ونقله دوزي عن بعض العرب

٧ ارى ان بعض اللغويين ضيعوا البصر في تحقيق بعض الالفاظ فالكش مثلاً عند العراقيين معروف عند صغارهم وكبارهم باديهم وحضريهم بمعنى المثبر وهو ما يلقح به النخل فجاء في تاج العروس في مادة ابر : قال ابن الاعرابي : المثبر والمأبر : ما يلقح به النخل كالخش انتهى . كذا) وقال في هامش لسان العرب : المثبر كمنبر ما تلقح به النخلة كالخش كذا في الاصل ولعله كالخش انتهى ما في الحاشية . قلت ان : والاصح كالكش اي ان المثبر بمعنى الكش وهو ما يلقح به النخل . فانظر كيف ان صاحبي اللسان والتاج لم يهتديا الى سواء السبيل . وقال صاحب التاج في مادة ك ش ش : الكش بالضم : الحرف (هكذا بالفاء في الآخر) الذي يلقح به النخل . والاصح ان يقال الحرّاق (وزان علم وبقاف في الآخر) وهو شراخ النخال يلقح به او الحرق (وزان قصب) وهو بالمعنى المذكور ويقال له ايضاً الحُشّ (وزان قُفْل) . وقال الشرتوني في ذيل اقرب الموارد في مادة ابر : المثبر كمنبر ما تلقح به النخلة كالخش وعلى هامش اللسان كذا في الاصل ولعله كالخش » اه كلامه . فانه هو ايضاً لم يهتد الى الحقيقة

ومن غريب هذه المعاجم على اختلاف عجمها وتحقيق صحابها انها لم تحقق ان الدمّة (وزان قصب) والدِمّة (وزان حبة) والذمّة شيء واحد فهذا اللفظ المعروف عند الافرنج

باسم Jeu de dames وهو لعب قديم الاستعمال في الشرق وكان يعرفهُ قدماء المصريين كما رأيناهُ مصوراً في بعض رسومهم . والفظة الافرنجية عربية النجار اذ اخذ الغربُ هذا اللعب عن الشرق

٨ ومما يؤخذ عليهم انهم تلاعبوا ببعض الكلم العربية مما ورد في المتن او في الشرح فخبطوا فيها وخلطوا . قال في التاج : عسد يعسد . اهملهُ الجوهري وهو من حدّ ضرب : سار في الارض . هكذا في سائر النسخ وهو تصحيف قبيح وقع فيهِ . وذلك ان ابن دريد قال في الجمهرة « والعَسْد ايضاً البَيْر » فصحفهُ المصنف بالسير ثم اشتق منهُ فعلاً فقال عسد يعسد اذا سار ولم ارَ لاحدٍ من ائمة اللغة ذكر العسد بمعنى السير فتامل وانصف » اه

وقال في القاموس : الممتش كمنبر . . . والصواب الممتش على صيغة اسم المفعول والفاعل من امتشّ واصل الممتش من امتش وهو النص الخارب

وجاء في تاج العروس في مادة مشش : أمشيشا . . . وكانت اليسّ عيناً ماحلة . وهو كلام مصحف واصلهُ . وكانت أُلَيْس (مصغرة مشددة اللام بعدها ياء ساكنة) من مَالحها وقال : يوم اليس والصحيح : يوم أُلَيْس . اذ ليس عند العرب يوم يعرف باليس بل بأُلَيْس . وقالوا في تعريف الفقاعة : الحجارة التي تطفو والصواب الحجاة . وقالوا في ح ي ر : والنسبة الى الحيرة : حاريّ كما قالوا في تمر تمري (بتاء مثناة قبل الميم) والصحيح كما قالوا في تَمْر (بفتح فكسر) تَمْري (بفتح فسكون) اذ لا شذوذ في النسبة الى التمر وانما الشذوذ الى التمر بفتح وسكون واذا نسب اليهِ فسكن الميم . والمراد من ذلك انهُ كما شذت النسبة الى التمر (بالتون) شذت النسبة الى الحيرة

وفسّروا الوكمة بالغيظة المُشْعَة والصحيح بالغيضة الملتفة

وقال جميع اللغويين في تعريف ابي براقش : طائر صغير يري كالقنفذ . والصحيح كالقنبر وهل يُشبَّه الطاووس بالقنفذ ولا مناسبة بينهما . ثم زادوا التعريف غرابة انهم قالوا : ولهُ ست قوائم والظاهر ان اول من عرّف هذا الطائر ورآهُ كان احول فرأى الزوج زوجين ثم نظر الى ظلهِ فظنهُ لهُ فقال ما قال ولم ينتبه الى ان لكلّ طائر رجلين لا غير . على ان الاقدمين اذا عذروا في تعريفهم القديم السقيم فلا يعذر المحدثون الذين يتقلون مثل هذه السخافات التي لا معنى لها اليوم

والاغلاط في التعريف أكثر من ان تحصى . راجع مثلاً تعريفهم للعسوب والفار والجرذ ونحوها من علم الحيوان . والنفاطير او النفاطير لحبّ الصبا او الشباب فكل ذلك

من التعاريف القديمة التي لا يهتدى الى معناها الاَّ بعد الجد والجهد

٩ً من مزايا المعاجم اللغوية الوقوف على معنى الغريب من الالفاظ . والمثال اننا نجد بعضهم يفسّر اللفظ المألوف بلفظ غريب غامض فقد جاء في القاموس : الخِبْر : النفْس ولو شرح اللفظة وقال : المادة السائلة التي يكتب بها لاصاب واذعى المراد . وفسّروا القعدد بالشيهم والجُهْن بالجُبن الى غيرها مما لا حاجة الى ايرادهِ لان مقامنا هنا مقام تذكير لا مقام تفصيل

١٠ً في اغلب المعاجم اغلاط صرفية مخالفة لنصوص او اصول او قواعد النحاة . قال في محيط المحيط في مادة « ا ل و » : والأُلوة والأُلوة والأُلية والأَلِيَّا : القسم ج الآيا والحقيقة ان الآيا جمع أُلية او أَلِيَّا وليست جمع الوة المثلثة الهمزة فان جمع هذه هي أُلى بضم الهمزة وبكسرها . وجمع بعضهم القس على قساوسة وهو خطأ والصواب ان القساوسة جمع قسيس مثل شماس وشمامسة وجمع فعال وفعيل وفعول المشددة من باب واحد . وجمعوا اثنين على اثانين بنونين في الآخر يفصلها ياء (ورد هذا الجمع في التاج والقاموس وتاج العروس وغيرها) والاصح اثانين كما نبّه عليهِ صاحب المصباح وورد في كلام الاقدمين وشعرهم المتين

١١ً كثيراً ما قال اللغويون مع الصرفيين اشياء جازمين فيها عدم وجود مثلها او ندرتها او حصر عددها . اما حقيقة الامر فليست كذلك . مثلاً : قال التاج في مادة سقف : « اسقف النصارى . زاد غيرهُ : واسقفيم كارذان اي بضم الاول وتشديد الآخر وعليهِ اقتصر ابن السكيت فيما نقلهُ الجوهري : ولا نظير لهُ سوى أُسرُبّ » اه . والحال قد ورد غيرهما في كلام العرب كأُتْرُجّ وأُشكُرّ

وقال الفارابي في ديوان الادب « لم يأتِ على فُعلال شيءٌ من اسماء العرب الرباعي السالم الاَّ مكرراً نحو القسطاط والقرطاط . فاما القسطاس فحرف رومي وقع الى العرب فتكلمت بهِ . وقيل : القسطاس : العمود . وقال الاصمعي : القرناس : حرف الجبل . . . » قلت : وجاء القرطاس (وهي مثلثة) والدقناس (طائر) والبرجاس والسرحاب وبلعار وبرطاس وغيرها . فاطلاق النفي في كتبهم في غير موضعهِ

وفي التاج في مادة زند وجمعها على ازناد ما حرفهُ : « اما ازناد فشاذ ولا نظير لهُ الاَّ فرخ وافراخ وحمل وأحمال لا رابع لها كما قالهُ ابن هشام . والحال اني قد جمعتُ نحو مائة كلمة جمع فيها فعل المفتوح الفاء على افعال منها طنف واطناف نصر وانسار نهر وانهار

عرّدوا عراد نبذ وانباذ حمل واجان (بمعنى جمّل بالتجريك) الى غيرها مما يطول ذكره . وفي كتب اللغة كثير من مثل هذا الاطلاق وكذلك في كتب الصرفيين والنحاة وهو مما يحتاج الى ان ينظر فيه ويصحح لان عصر النقل عن الائمة بدون نقد كلامهم قد ذهب مع من ذهب

١٢ أدخل العرب الفاظاً اعجمية واصلوا نقل معانيها فقد قالوا : « الشكيمة كسفينة الانفة والانتصار من الظلم وايضاً الشهد وايضاً الشم . هكذا في النسخ والاولى الشم . وفي بعض النسخ : والفهد والسم وهو غلط وبكل ما ذكر فُسّر قولهم ذو شكيمة (انتهى عن تاج العروس)

قلتُ هكذا فسرها اغلب اللغويين . اما الشكيمة بمعنى العهد فغريب اذ ليس في المادة ما يؤيد هذا المعنى . واما الشم فكذلك بعيد بخلاف الشم فقد يقرب من معنى الانفة فان ابتعد عنهُ شيئاً في المعنى فمحتمل في العربية والمثل فيها اكثر من ان تحصى . واما السمّ فهو ابعد ما يكون . والصحيح عندنا ان معاني الشكيمة هنا الفهد والسور فتكون تعريب الشكم (كمنب) او الاشكم (كاسحل) وهما جلد الفهد او السور يُسلخ من قبل البطن . والفهد هنا بمعنى الوشق loup-cervier . اما لفظة السمّ فما هي الا تصحيف السور وهذه تصحيف السموم ثم لما رأى النقلة ان لا مناسبة للسموم المجموعة للدلالة على الشكيمة وهي مفردة فردوها وقالوا السمّ . وهذا هو سرّ اختلاف اللغويين في شرح هذه اللفظة بمعانٍ مختلفة

وقالوا في تعريب التُفّة : قال الاصمعي : التفة دويبة كجرو الكلب . قال : وقد رايتها او كالقارة (كذا بخطه) وهذا نقلهُ ابن دريد وقد انكرهُ الاصمعي . — قلت : انما انكر الاصمعي هذا التشبيه لانهُ قرأها كالقارة بالفاء وانما هي كالقارة بالقاف وهي الدُبّة ومشابهة التفة للدبة امر مشهور ذهب اليهِ علماء الافرنج ايضاً في العهد الاول وفي هذا العهد . وهو احسن من قول الاصمعي : دويبة كجرو الكلب . لاسيما لانا نعلم ان المراد بالتفة الدابة التي قال عنها الدماميني ما يثبت وصفها احسن الوصف اذ ذكر انها من « الجوارح الصائدة ثم زاد : وكانت عندي منها عدة دواب وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة ويقال لها الفنجل وعناق الارض وفارسيتهُ « سياه كوش » وبالتركية « قرا فلاغ » وبالبربرية « بنه كدره » ومعنى الكل « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البربرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : وقول ما رايت هذه الدابة في مقدشوه » انتهى

وقال في التاج في آخر مادة ه ر ف : ومما يستدرك عليه « يهرف » كيضرب اسم سبع سمي به لكثرة صوته » انتهى . قلت : وهو مبني على قول ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٥) : ويقال لبعض السباع هو يهرف بصوته اي يتزيد فيه انتهى . فالظاهر ان صاحب التاج قرأ من العبارة : ويقال لبعض السباع : يهرف ولم ينتبه الى ما قبلها وما بعدها اما انت فتيقظ

هذا بعض مغامز دواوين لغتنا ذكرتهُ على سبيل التنبيه ليعلم الناس ان كتبنا تحتاج الى اصلاح ونقد من كل جهة ليكون عندنا منها ما يعتمد عليه ولا نبقى على ما كنا في سابق العهد متتبعين خطوات الاقدمين خطوة بخطوة ولا نبتعد عنهم قيد شعرة . فهذا زمن تدخلا هو واصحابهُ وما علينا الاَّ السير في طريق جديدة طريق التحقيق والتدقيق طريق الجهد والنقد طريق السعي والفلاح والحمد لله اولاً وآخراً

امكج

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

جلسة ١٧ دسمبر ١٩٠٥

قال السر اوليفر لدج كنت اتكلم مع مسز كندي والخال جملت يدها تكتب فكتبت ما يأتي مضى عليَّ مدة طويلة فقولي لابي اني هنا الآن ريمند

لدج — يا ولدي

ريمند — يصعب عليَّ يا ابي ان اعبر عن كل ما اشعر به اما الآن فلا مناص من القول اني احبك يا ابي احبك حبًّا جمًّا

لدج — انا اعرف ذلك يا ابني فهل تريد ان تقول شيئاً لامك واخوتك

ريمند — كنت هنا اليوم وكلمت امي ولكنني لا ادري هل سمعتني . قُل لها ذلك وقبّلها عني

لدج — حملت بك حملاً واضحاً منذ عهد قريب رأتك في رؤيا عند الفجر

ريمند — لا شبهة في انها سترائي فاني في الغالب قريب منها ولكنني لا اعلم هل رأتني قبل الآن

لدج — لقد دنا عيد ميلاده يا ريمند